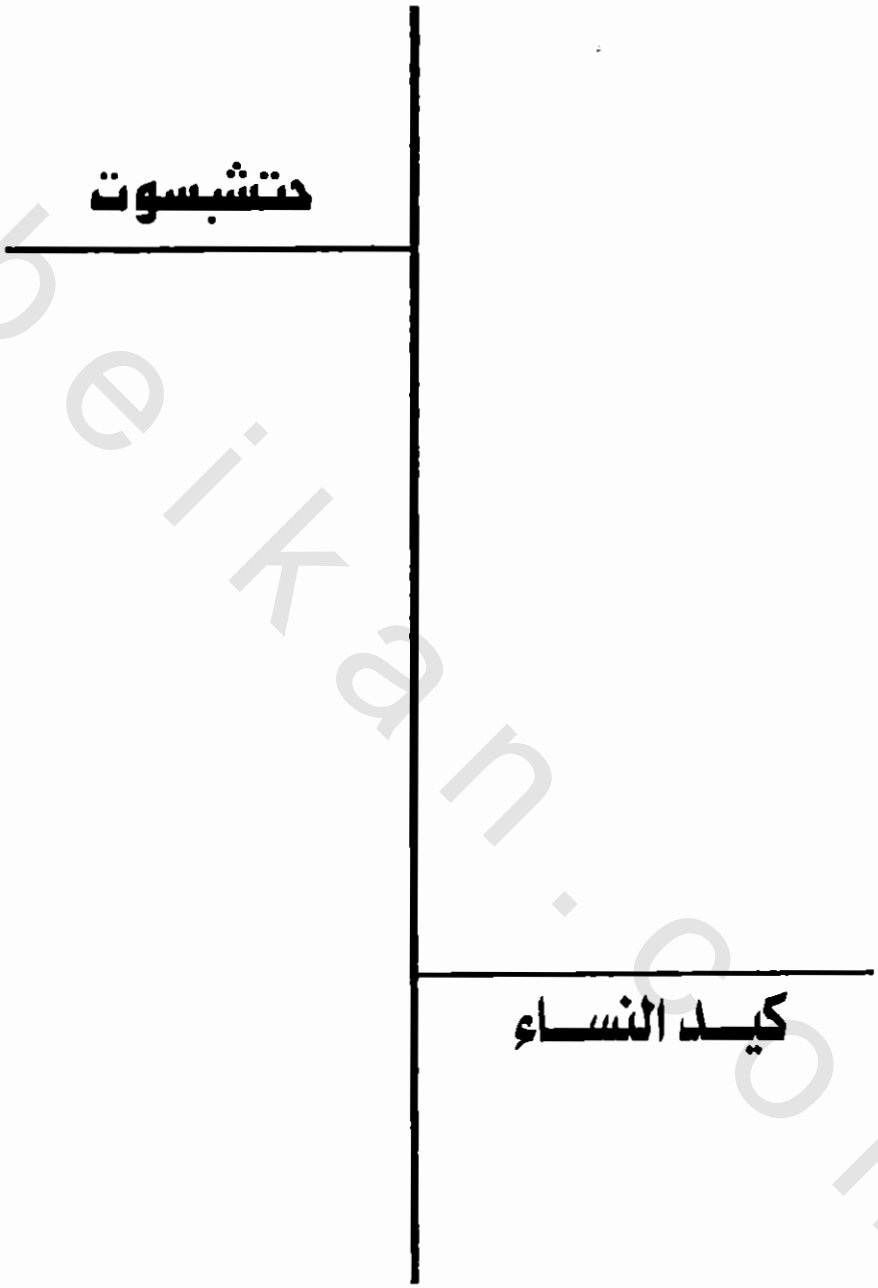

obeikan.com

obeikan.com

حتشبسوت

كان للكهنة في مصر القديمة نفوذ كبير يستمدونه من المكانة الدينية للكهنة عند عامة الشعب ، وكانت المعابد والأديرة معاهد يتولى الرهبان فيها تخريج الرهبان الجدد ، وكانت مصالحهم التي تتمثل في المميزات التي يحصلون عليها من هذه المكانة أمرا لا يمكن التنازل عنه ويسعون للحفاظ عليها بأى وسيلة والغاية في النهاية تبرر الوسيلة .

لم يرزق الملك "تحتمس الأول" من زوجته الجميلة "أحموس" سوى ابنة واحدة هي "حتشبسوت" التي لم تكن تقل جمالا عن أمها لكن الملك كان يتمنى أن ينجب ولدا يرث عرشه ، وهذا ما دفع حتشبسوت رغم صغر سنها إلى الظهور أمام والدها بملابس الرجال ، وعدم ارتداء الملابس النسائية .

كانت أحموس هي الوحيدة التي يمكنها أن تجلس على العرش ؛ لأنها ابنة أحموس ذات الدماء الملكية والذى جلس على العرش باعتباره زوجا لها فقط ، ويبدو أن تحتمس لم يكن هو الملك الذي يستطيع الكهنة أن يسيطروا عليه ، لذا أشاروا عليه بوجوب التنازل عن الحكم لابنته الطفلة التي لم تتجاوز الخامسة عشر ليتمكنوا من السيطرة عليها .

ألقى الملك كلمة التنازل عن العرش لابنته وأجلسها إلى جواره على العرش وتقدم "هانوسيب" كبير كهنة آمون ومن بعده بقية الكهنة وكان على رأس المهنئين الأمير "سينموت" مدير بيت الإله آمون وعميد الطبقة الأرستقراطية وأعظم مهندس في تصميم المعابد المصرية ، ولاحظ الأب أن العيون تنقل رسائل يعرفها جيدا بين الملكة الصغيرة والمهندس الشاب ، لكن الملكة الصغيرة كان لابد أن ترتبط بزوج تجرى في عروقه دماء ملكية ، ولم يكن هذا الزوج سوى أخيها غير الشرعى "تحتمس الثانى" الذي كان دعاة الحرب الذين انتشوا بانتصارات والدها يؤيدون

زواجه بها لكن الفتاة الصغيرة كانت قد عشقت المهندس الشاب وتزوجت "حتشبسوت" من أخيها لكنها كانت تخشى أن يتخلص من حبيبها بالإبعاد أو القتل ، فعهدت إليه ببناء معبد يفوق في روعته كل ما رآه الناس .

أرادت حتشبسوت أن توصل إلى الوفود التي ستأتى للتهنئة وتقديم الهدايا رسالة مهمة مفادها أنها ليست امرأة ضعيفة وأكملت الرسالة بارتداء زى رجالى فضفاض من الكتاب ومن فوقه صديرية وأمسكت بالسوط في يد والقضيب المعقوف في اليد الأخرى ، أما رأسها . . فقد أخفت الشعر بالتاج المزدوج الثقيل وتدلت من ذقنها لحية صناعية من الذهب على غرار لحية الإلهة "أوزوريس" .

وبدت نظراتها جامدة ووجهها تحمل قسماته عبوسا وتحديا وإن كان مصطنعا .

كان ما فكرت فيه "حتشبسوت" في مصير حبيبها المهندس الشاب "سينموت" حقيقة فقد أرسله الملك أو لنقل أبعده ليصح التعبير إلى منطقة نائية لكنها كانت قد دبرت لإعادته بأمر ملكى للشروع في إنشاء معبد جنائزى كبير في سفح جبل طيبة الغربى ليكون مدخلا إلى المقبرة السرية الحصينة التي تحفر في جدار الجبل .

كان زواج "حتشبسوت" من أخيها "تحتمس الثانى" زواجا ملكيا صوريا فقط ليشاركها الحكم لكن الحقيقة أنها هي التي كانت تحكم ، ويبدو أن نشأتها هي التي جعلت منها تلك الشخصية القوية المسيطرة التي مكنتها من حكم البلاد لفترة طويلة بسلام يعاونها في ذلك مستشارون كان أبرزهم "هابوسنيب" الذي كان أبوها "تحتمس الأول" يطمئن إليه .

مات الملك "تحتمس الأول" الذي كان يساند ابنته رغم عزلته ثم

تبعه كبير الكهنة المخلص ليتبعه كاهن من الكارهين للملكة الجشعين ثم لحق بهم زوجها "تحتمس الثانى" الذي كان وجوده الشكلى يشجعها ويدعمها ، وكان ذلك بداية المشكلات وانتشار الفتن والدسائس من حولها وأولها حق وراثة العرش حسب القانون الكهنوتى ، فلم يكن لها ولد ذكر بل أنجبت بنتين وبالتالى تكررت المشكلة لتكون الوراثة الشرعية للعرش لابنتها "نفروع" وكان لابد من حل يرضى الشعب ويرضى "حتشبسوت".

كان تحتمس الثانى قد أنجب ولدا من إحدى محظياته وقد انتظم هذا الابن في السلوك الكهنوتى وعمره آنذاك تسع سنوات ، ويبدو أن الكهنة كانوا يعدونه على طريقتهم لخدمة أغراضهم ومصالحهم وواتتهم الفرصة أسرع مما توقعوا لتدبير ما سعوا إليه بتنشئة ذلك الطفل الذي ربوه على الحب الشديد لأبيه ليغذوا بعد ذلك فكرة الكراهية للملكة التي كانت تتجاهل أبيه . واستغلت فرصة مرضه للسيطرة عليه وعلى البلاد .

اتخذت الكهنة من معبد إله الشمس مقرا لمؤامراتهم وتدبيرهم ورأت الملكة أن الخطر أصبح أقرب إليها من السكوت عليه ولابد من القضاء على هذه المؤامرة قبل أن يستفحل الأمر ويخرج عن السيطرة ، وأرادت الهجوم على المعبد والخلاص من الكهنة الذين يريدون الخلاص منها ، لكن "سينموت" أخبرها أن ذلك سوف يثير الشعب عليها خاصة أن الكهنة لم يبد منهم ظاهريا ما يدفعها للحمل عليهم : وكان لابد من التفكير في مكيدة يواجهون بها مكيدة الكهنة للخلاص منهم ، لكن الكهنة كانوا أسبق وأخذوا خطواتهم قبل أن يفتضح أمرهم بمكيدة شرعية أمام الشعب تم التدبير لها بذكاء شديد وإحكام غير عادى .

لجأ الكهنة إلى الخداع والسحر ليقنعوا الشعب المسكين بما أرادوا

فقد حملوا تمثال الإله آمون وساروا به إلى النيل ليصدر أمرا إلى النهر بأن يحول مجراه إلى أرض أصابها الجفاف كما زعموا وكان الطفل معهم أنه محور المؤامرة حيث كان يقف بين أقرانه الصغار في السلك الكهنوتى ، ودار حملة التمثال ليقفوا به في اتجاهه فجأة ، وكأن الإله هو الذي توقف ليختار هذا الصبى المدرب ليخر على الأرض ساجدا للإله شاكرا اختياره له في تمثيلية متقنة الإعداد والأداء ، وصاحت الجموع البسيطة الساذجة مهللة للحدث ثم تولى الكهنة بقية الأمر في خطب رنانة موضحين المعجزة التي لم يسبق لها مثيل والتى تدل على اختيار الإله آمون لتحتمس الثالث الصبى ليكون فرعونا .

امتلأ قلب "حتشبسوت" غيظا بعد أن نجحت مكيدتهم ونالوا مآربهم وأرادت أن تضرب ضربتها وتنتقم منهم ، لكن "سينموت" حذرها من أن الشعب البسيط قد صدق المعجزة المزعومة وأن أى تصرف غير مدروس قد يكون ثمنه حياتها وعرشها ، ولذا لابد من التصرف بطريقتهم ، وأن تقبل بإشراك الصبى معها على العرش حتى تتدبر الأمر وأيا كان شكل العلاقة بين "حتشبسوت" و "تحتمس الثالث" ورغم كونها وصية عليه وعلى ابنتها اللذان لم يبلغا سن الرشد إلا أنها كانت تشعر أنه يشاركها الحكم دون وجه حق وبتدبير من الكهنة وهو أيضا عمل لها قدرا كبيرا من الكراهية لقنها له الكهنة .

استطاعت حتشبسوت رغم ذلك أن تسيطر على الموقف وتفرض نفسها على العرش لتظل الملكة الحقيقية للبلاد وكان ذلك أمرا طبيعيا حيث كانت في التاسعة والثلاثين ، و "تحتمس الثالث" في التاسعة .

خلال سبعة أعوام أحكمت تدبيرها تماما للأمور وأحاطت نفسها بالمستشارين المخلصين لتعلن نفسها ملكة شرعية على البلاد ولمدة ثلاثة عشر عاما كان تحتمس الثالث خلالها في عزلة لا يذكر اسمه إلا بعد اسمها ، وكانت علاقة الملك الصبى لا تنقطع بالكهنة الذين أكملوا

تدريبه وساعدوه ليشتد عوده ، وكان من عادة الكهنة أن يدبرو مكائدهم بطريقة لا تشوه صورتهم أمام الشعب لتظل لهم قدسيتهم ، وكان ذلك يستدعى منهم الحرص الشديد والتكتم الأشد ، ولا شك أن ذلك يحتاج إلى وقت أطول .

بدأ المستشارون المخلصون يختفون من حول الملكة دون أن تظهر جثثهم بما فيهم حبيبها المهندس "سينموت" أخلصِ مستشاريها ، وبدأ الخوف يتسرب إلى قلب "حتشبسوت" ، وذلك ليلاً بعد وليمة أقيمت لتكريم كبار المحاربين عادت إلى حجرتها لتشعر بآلام في البطن وقيئ شديد وازداد الألم وأخذت تصرخ مستدعية من ينقذها لكن أحدا لم يأت إليها فقد أصدر "تحتمس الثالث" أمرا بعدم الدخول عليها لتسقط على رخام الغرفة مدركة أن النجاة مستحيلة وأنها النهاية ، وخفت صوتها وأسلمت الروح إلى باريها .

في الصباح فتح الجوارى الباب ودخلوا عليها فوجدوها ملقاة في أرض الغرفة بعد أن قتلها الكهنة بمكيدة دبروا لها سنين طويلة في صمت ليثبتوا لها أن الكيد الكهنوتى أقوى من كيد النساء وحملها نفس الكهنة الذين قتلوها في وقار إلى قبر سرى لا يعرفه أحد ، ويبدو أنهم دخلوا القبر بعد نبشه واستولوا على محتوياته .

* * *